

كلمة في التحقيق

د. محمد الحافظ الروسي

جامعة عبد الملك السعدي

يلاحظ الباحث، وهو يتأمل ما حُقِّقَ من كتب التراث، أن المجهود المبذول في إخراجها للناس ينقصه كثير من التنسيق، والتخطيط، وأنه قد قُدِّمَ فيها ما حقه التأخير، وأُخِّرَ ما حقه التقديم، وذهبت جهود كثيرة في إخراج عمل واحد، وتُركت أعمال أخرى فلم يعتن بها أحد العناية الواجبة. لذلك ترى المجهودات كثيرة، والثمرة المطلوبة لا توازي المجهود المبذول فيها.

فتركت كتب ينبغي أن تخرج للناس محققة، مضبوطة، مشروحة، لم يعتن بها أحد على الرغم من أهميتها البالغة. وأقرب مثال نذكره على ذلك ديوان الفرزدق (20 - 114 هـ) الذي زعم أهل اللغة أنه لولاه لذهب ثلث العربية.

فهذا ديوانٌ طُبِعَ أوَّل ما طُبِعَ على يد المستشرق الفرنسي ريشار بوشيه، R.Boucher حيث نشر معظمه، بين سنتي: (1870 و 1885م). وترجمه إلى الفرنسية، وتوفي قبل إتمامه. ثم أتمه الألماني "يوسف هل" بعد ذلك في طبعتين بميونخ سنتي: 1900 و 1901م. ثم صدر في مصر ضمن مجموع سنة: 1876م. وفي بيروت سنة: 1909م. ثم نشر بتعليقات عبد الله الصاوي سنة: 1936م، ثم كانت طبعة إيليا الحاوي سنة: 1983م، وعلي فاعور سنة: 1987م، وطبع بعناية كرم البستاني، مع حذف شعر الهجاء بزعم أنه مما لا يحسن أن يقرأه الطلاب لما فيه من فحش، ومخالفة للآداب الاجتماعية. وصنع الدكتور طراف طارق النهار، من جامعة صنعاء، مستدركا على الديوان.

ومع ذلك كله فليس في هذه الطبقات جميعها ما يمكن الاطمئنان إليه، وليس فيها طبعة واحدة حققت تحقيقا علميا سليما، أو سلمت من الأخطاء. وقد ذكر د. شاکر الفحام في كتابه عن الفرزدق نماذج منها.

فكان ديوان الفرزدق إلى اليوم غير محقق، ولا مشروح، ولا توجد بين الناس إلى اليوم طبعة يطمئن إليها الباحث. وقد ذكر لي د. محمد عزيز شمس، وهو أحد كبار علماء الهند، أن أحد العلماء يشغل بتحقيق ديوان الفرزدق منذ عشرين سنة. وقد

مضى على قوله هذا أكثر من ثلاثة عشر عاماً، ولم يظهر في الناس هذا التحقيق إلى اليوم.

ويُلحَق بهذا ما هو في حكم غير المحقق، مع أنه حُقِّقَ أكثر من مرة، ومثاله: كتاب نقد الشعر لقدامة بن جعفر (ت: 337هـ)، فهذا كتاب طبع في القسطنطينية سنة: 1302 هـ أي حوالي سنة: 1884 أو 1885م، ثم صدر سنة: 1934م بعناية محمد عيسى منون، ثم قام بتصحيحه المستشرق: س.أ. بونيباكر وطبعه سنة 1956م بمدينة ليدن، فلما كانت سنة 1962م ظهر الكتاب بتحقيق كمال مصطفى، ثم ظهرت طبعة الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي التي زعم فيها أنه أصدر الكتاب في صورة جديدة من التحقيق العلمي.

وهذه الطبعات على كثرتها تتشابه في كثرة الخطأ والتحريف، بل إنك تجد الأخطاء التي توارثها الباحثون عن الطبعة الأولى واحتفظوا بها أكثر من قرن من الزمان.

ومن أمثلة ذلك بيت من الطويل لا يكاد يعرفه الناس في غير كتاب "نقد الشعر" لقدامة بن جعفر، وهو قول ناهض بن ثومة بن نصيح الكلابي العامري، من بني عامر بن صعصعة (ت: نحو 220 هـ):

صَحُوبُ الصَّدَى، ظَمَأَى القَطَا، مُرَّةُ السَّرَى
رَكَا مَاءَهَا بَيْنَ النَّعَامِ
الْحَرَائِشُ

هكذا ورد في طبعتي: بونيباكر، وكمال مصطفى. والذي في طبعة الجوائب، ومنون، وخفاجي:

صَحُوبُ الصَّدَى، ظَمَأَى القَطَا، مُرَّةُ السَّرَى
رَكَا مَاؤُهَا بَيْنَ النَّعَامِ
الْحَرَائِشُ.

ولا شك أن ما أثبتته منون وخفاجي وما ورد في طبعة الجوائب لا يصح، وضبطهم للبيت دال على أنهم لم يطلعوا على القصيدة التي منها هذا البيت، فهي قصيدة مضمومة الروي، لا مكسورته. ومطلعها:

أَمِنْ طَلَلٍ بَيْنَ الكَثِيبِ وَأَحْطَبِ
مَحْتَهُ السَّوْفِي وَالرَّهَامُ الرَّشَارِشُ

وهي في القسم الذي لم ينشر من كتاب "التعليقات والنوادر"، وقد خرجها العلامة حمد الجاسر، وألحقها صاحب كتاب " شعراء عباسيون منسيون" بالمستدرك عليه. والبيت هناك مع الذي قبله هو:

وَعَبْرَاءُ، لَا تَجْرِي بِهَا الرِّيحُ، عَاقِرٍ
حَمَى ظِلَّهَا وَقَعَّ مِنَ الصَّيْفِ
مَاجِشُ

دُؤُوبُ الصَّدَى، ظَمَأَى القَطَا، مُرَّةُ السَّرَى
بِهَا، مِنْ رُكَامِ البَيْضِ، قَدَمًا،
حَرَائِشُ

فهذا هو الصواب فيه، وما أثبتته كافة محققي "نقد الشعر" لا وجه له، وكلمة "الخرائش" لا معنى لها في العربية. والذي يظهر بالنظر في رواية "التعليقات والنوادر"، وموازنتها بما أورده محققو كتاب قدامة أن أقرب شيء إلى ما يمكن أن يكون قد أثبتته قدامة هو: رُكَّامٌ بِهَا، بَيِّضُ النَّعَامِ، خَرَابِشٌ. وهذا معنى واضح، يقصد به أن بيض النعام مركوم بعضه على بعض في هذه الفلاة، متروك، فاسد، خال مما كان فيه. وليس كذلك: رَكَا مَاءَهَا بَيْنَ النَّعَامِ الْخَرَابِشِ. فهذا كلام لا معنى له. وظني أنهم قرؤوا: ركام: ركا ما، وقرؤوا: بها: عها، وقرؤوا: بيض: بين، وقرؤوا: خرابش: الخرائش. فخرجوا إلى هذا الكلام الذي لا يفهم.

وقد تتبعت مثل هذه الأخطاء فلم أكد أجد صفحة واحدة تخلو منها، والكتاب، مع ذلك، في ظن الناس محقق قد فرغ من تحقيقه، وشرحه، وضبطه.

ثم إنك واجدٌ، مع ذلك، جهودا كثيرة قد صُرفت إلى تحقيق كتاب قد حُقِّقَ وفرغ الناس منه. فإنك تجد، مثلا، أكثر من تحقيق لكتاب مغني اللبيب عن كتب الأعراب، فقد حققه سنة: 1964م الدكتور مازن المبارك ومحمد علي حمد الله وراجعته أحد كبار علماء اللغة وهو سعيد الأفغاني، ثم حقق الكتاب وشرحه في ستة أجزاء، مع جزء سابع خاص بالفهارس الدكتور عبد اللطيف محمد الخطيب ونشره في الكويت سنة: 2000، ثم أعاد تحقيقه بأخرة الدكتور فخر الدين قباوة.

ومثل ذلك تقوله عن كتاب البرهان في وجوه البيان لأبي الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب. فقد حققه سنة: 1967م د. أحمد مطلوب ود. خديجة الحديثي ثم أعاد تحقيقه ونشره سنة: 1969م الدكتور حفني محمد شرف.

وتقوله أيضا عن كتاب العمدة لابن رشيق، فقد طبع أولا بتحقيق: الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد تحت عنوان: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده. ولم يكن هذا التحقيق بالغ الجودة، فكان سرور أهل العلم بالغا بظهور تحقيق: د. محمد قرقران سنة: 1988م، غير أنه ظهر تحقيق بعد ذلك بنحو اثني عشر عاما للدكتور النبوي عبد الواحد شعلان سنة: 2000م تحت عنوان: العمدة في صناعة الشعر ونقده.

ولك أن تقول مثل ذلك عن كتاب إصلاح المنطق لابن السكيت، فقد حققه وشرحه عالمان كبيران هما: الدكتور عبد السلام محمد هارون والشيخ أحمد محمد شاكر، وذلك في نحو سنة: 1949م، فلما كانت سنة: 2006م أعاد نشره محققا الدكتور فخر الدين قباوة، وذلك لأنه وجد في التحقيق الأول أخطاء وأوهاما. وهذا سبب قد يدفع إلى كتابة دراسة في الاستدراك والتقويم، ولكنه لا يدفع ضرورة إلى

إعادة التحقيق جملة، ولو أخذنا بهذه الحجة لاحتجنا إلى إعادة تحقيق كتب لا حصر لها.

والأمثلة على هذا الباب، وهو بابُ المحقق أكثر من مرة، كثيرةٌ، غير أنا لا نجعل منها ما يظنه الناس كتاباً واحداً، وليس كذلك، وذلك كديوان الشاعر إذا اختلفت شروحه، أو تعدد صانعوه، أو رواته. فإن شرح الأعلام الشنتمري لديوان امرئ القيس ليس كشرح البطليوسي أو السكري، فهذه كتب لا يغني بعضها عن بعض. وإن الذي يقف على شرح السكري الذي امتدحه ابن النديم في الفهرست، ليس كمن يقف على رواية الأعلام لديوان امرئ القيس من رواية أبي حاتم عن الأصمعي، وهي الرواية التي وصلت الأعلام محرفة مصحفة.

وَقُلْ مثل ذلك عن ديوان النابغة الذبياني، فإنه طبع مرة بصنعة ابن السكيت، وتحقيق: د. شكري فيصل، وطُبِعَ أخرى مقسماً إلى ثلاثة أقسام برواية الأصمعي من نسخة الأعلام، وبما ورد في نسخة الأعلام مما لم يروه الأصمعي، وبرواية ابن السكيت مما لم يرد في نسخة الأعلام، وهي الطبعة التي حققها: محمد أبو الفضل إبراهيم، وطبع أيضاً بتحقيق وشرح الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور واعتمد فيها على ما اتفق على إثباته البطليوسي في شرحه، وأبو جعفر النحاس في شرحه، وعلى ما حصل لدى الشيخ من شعر النابغة، وهي الملحقات.

وقد يحقق المحقق الواحد الديوان الواحد مرتين، ويكون اعتماده في كل مرة منهما على صنعة عالم غير العالم الأول، وذلك كما فعل د. فخر الدين قباوة بشعر زهير إذ حقق ديوان زهير مرة بشرح ثعلب، وأخرى بصنعة الأعلام.

ومن المحقق ما تكون آفته في نسبة الكتاب لغير صاحبه، ثم تداوُل الكتاب بعنوانين ونسبتين، إحداهما صحيحة، والأخرى خطأ.

ومثال ذلك كتاب "الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان" المنسوب لابن القيم إمام الجوزية (ت: 751هـ)، والذي طبع سنة: 1327هـ بعناية: محمد بدر الدين النعساني، واستمر الناس على تداوله منسوباً لابن القيم دون الالتفات إلى ما قاله كبار أهل العلم في ذلك، ومنهم الشيخ أحمد محمد شاكر - رحمه الله تعالى - الذي كتب مقالا في مجلة المنار سنة: 1916م يشكك في هذه النسبة، ثم تبين للناس أن الكتاب لابن النقيب (ت: 698هـ) وأنه مقدمة تفسيره، وأنه وضعه في علم البيان والمعاني والبديع وإعجاز القرآن، وحوَقَّق الكتاب تحقيقاً جيداً، ووُضِعَتْ له مقدمة حسنة، وعُلِّقَتْ حواشيه، صنع ذلك كله الدكتور زكريا سعيد علي. وأصدر الكتاب سنة: 1995م. ومع ذلك فإن الطبعة المنسوبة لابن القيم ما زالت معتمدة متداولة بين الناس.

مقالة خاصة بباب "مقالات" على موقع كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة عبد المالك السعدي. كل الحقوق محفوظة. 6 يوليو 2020.

د. محمد الحافظ الروسي

وقُلْ مثل ذلك عن كتاب "نقد النثر" المنسوب لقدامية بن جعفر، وهو كتاب تبين منذ سنة 1949م، أنه ليس له، وذلك منذ أن نشر د. علي حسن عبد القادر في مجلة المجمع العلمي العربي سنة 1949م (ج:1 مجلد: 24. ص: 73 - 81) بحثاً بين فيه أن الكتاب هو: البرهان لابن وهب الكاتب. وذلك بعدما اطلع على مخطوطة قديمة لهذا الكتاب بمكتبة تشيستر بيتي بدبلن. وصدر الكتاب، بعد ذلك، بتحقيقين، دون أن يلتفت مَنْ جَدَّدَ طبع "نقد النثر" إلى شيء من ذلك. والله الأمر من قبل ومن بعد. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

محمد الحافظ الروسي



- أستاذ التعليم العالي بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان.
جامعة عبد المالك السعدي. المملكة المغربية.
- رئيس شعبة اللغة العربية بكلية الآداب بتطوان. (سابقاً).
- منسق مجلة (فقه اللسان) المحكمة التي تصدرها الرابطة
المحمدية للعلماء.

— رئيس مركز ابن أبي الربيع السبتي للدراسات اللغوية والأدبية التابع للرابطة
المحمدية للعلماء.

- رئيس تحرير الموقع الإلكتروني لمركز ابن أبي الربيع السبتي للدراسات اللغوية
والأدبية التابع للرابطة المحمدية للعلماء.

من كتبه المطبوعة:

1. مظاهر تعظيم شعائر الله تعالى من خلال حجة الوداع. (مطبعة الهداية - تطوان. الطبعة الأولى. 2007 م).
2. ظاهرة الشعر عند حازم القرطاجني. مشروعه التنظيري: مقوماته وقوانينه. [دار الأمان - الرباط. 2008 م].
3. دراسات أدبية وإسلامية. دار الأمان - الرباط. 1432 هـ / 2011 م.
4. في البلاغة والتصوف. دار الأمان - الرباط. 1437 هـ / 2016 م.
5. مداخل بلاغية لفهم ظاهرة التطرف. الرباط - الرابطة المحمدية للعلماء. 2018 م.